

موازنتن بين رأيتي عجل بينة وعمربن أبي ربيعة

للدكتور

محمد حسن عبد اللطيف على

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين معلم الانسان البيان والصلاة والسلام على أفصح ولد عدنان وعلى آله وصحبه مصابيح الدجى وأئمة البيان وبعد ..

فأتناول بتوفيق بالله سبحانه وتعالى فى هذا البحث المتواضع (موازنة بين رائيتى جميل بثينة وعمر بن أبى ربيعة) عسأى أن أضيف جديداً الى جهود الأدباء والنقاد حول هاتين الرائيتين اللتين تمثلان اتجاهين مختلفين :

• اتجاه عفيف واتجاه عنيف كما أراه .

وسوف أجلى الحقيقة حول عفة العفيف وغلو العنيف بموضوعية الباحث المنصف الذى يتوخى الحقيقة وينشدها أنى وجدت .

كما أننى سوف أميط اللثام عن تأثر أحدها بالآخر بانصاف وحيدة .

• ولعلى بهذا البحث أضيف شيئاً ذا بال

• والله مبتغانا وهو حسبنا ونعم الوكيل

• وبالله التوفيق ..

• د محمد حسن عبد اللطيف على

٤ من شعبان ١٤١٧ هـ

٢٥ من ديسمبر ١٩٩٦ م

((نبذة عن حياة جميل بثينة))

نسبه وحياته :

هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، ينتمي الى بنى
عذرة المشهورين بالحب العذري ، فقد اتصفوا بالعفاف
وكبح جماح شهواتهم ، وكانوا اذا أحبوا صدقوا وأوفوا
أبد الدهر .

ولم أعثر على تاريخ ميلاده في المراجع التي رجعت
اليها ويبدو أنه غير معروف ، أما وفاته فكانت سنة ٨٢ هـ
٧٠١ م .

حبه لبثينة :

ابتلى جميل بحب بثينة بنت حبا بن حن بن ربيعة من
عذرة ، فهي ابنة عمه تلتقى وإياه في حن بن ربيعة ، وكانا
يقيمان في وادي القرى في الحجاز وهو قريب من المدينة .
ولما علقها شغلته عن سائر النساء فوقف قلبه وشعره
عليها يذكر اسمها مرة ، ويكنى عنه مرة باسم آخر ، حتى
شهر بها وشهرت به فقييل : جميل بثينة ، ويتحدث بهما
الناس ، فلما خطبها الى أبيها ضمن عليه بها ، وزوجها بأخر
من بنى عذرة يقال له : نبيه بن الأسود وفيه يقول جميل :

لقد أنكحوا جهلا نبيها ظعينة

لطيفة طي الكشح ذات شوى خذل (١)

(١) الشوى : اليدان والرجلان ، أو جماعة الأطراف (اللسان :
شوى) خذل : الملتئذ العظم ، والخدلة من النساء : المملئة الساقين
والذراعين .

وظلت بثينة تهواه محافظة على وده طوال حياته (٢) .

وعلى الرغم من تباريح الهوى ولواعج الشوق التي أضرمتها نار الحب بينهما كان نقيا عفيفا لما رواه أيوب بن عيسابة قال : سعت أمة لبثينة بها الى أبيها وأخيها وقالت لهما : ان جميلا عندها الليلة فأنيهاها مشتملين على سيفين ، فرأياه جالسا ويشكو إليها بثه ، ثم قال لها : يا بثينة أرايت ودى اليك وشغفى بك ألا تجزيه ؟ قالت بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابين ، فقالت يا جميل : أهذا تبغى ! والله لقد كنت عندي بعيداً منه ، ولئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهى أبداً . فضحك وقال : والله ما قلت هذا الا لأعلم ما عندك فيه ، ولو علمت أنك تجيبيننى اليه لعلمت أنك تجيبين غيرى ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفى هذا ما استمسك فى يدي ، ولو أطاعتنى نفسى لهجرتك هجرة الأبد ، أو ما سمعت قولى :

وانى لأرضى من بثينة بالذى
لو ابصره الواشى لقرت بلا يله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلة وبالحول تنقضى
أواخره لا نلتقى وأوائله

(٢) يراجع الأغاني ج ٨ : ص ١٩٠ وخزانة الأدب ج ١ : ص ١٩١
ط : الخانجى والموشح ص ١٩٨ ط : ومقدمة ديوان جميل لبطرس
البيستانى ص ٦ .

قال فقال أبوها لأخيها : قم بنا ، فما ينبغي لنا بعد
اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائنا ونركاهما (٣) .
ولذا كانت بثينة ملهمته الغزل الجميل الذى يهز القلب
ويذكي العاطفة ، فجاء غزله صادقا مشبوحا بأوار الحب ،
النقى الذى شجر بين قلوبهما .
مكانته الغزلية :

روى عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المنذر بن
الزبير قال : ذكر جميل لكثير فقالوا : ما تقول فيه : فقال :
منه علم الله عز وجل .
وعن محمد بن سلام قال : كان لكثير فى النسب حظ
وافر ، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسب ، وكان
كثير راوية جميل ، وكان جميل صادق الصباية والعشق ولم
يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقول (٤) .
وفاته :

كانت وفاته بمصر لما روى عن هارون بن عبد الله
القاضى قال : قدم جميل بن معمر على عبد العزيز بن مروان
فأذن له وسمع مدائحه وأحسن جائزته وسمح له بالمقام
وأمر له بمنزل وما يصلحه فما أقام الا قليلا حتى مات هناك
فى سنة اثنتين وثمانين (٥) .

(٣) يراجع الأغاني ج ٨ : ص ١٠٥ .

(٤) يراجع طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٤٦١ تحقيقى

محمود شاكر ط . المعارف بتصرف .

(٥) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٠ ط : دار صادر بيروت .

((بُبْذَة عَنْ حَيَاةِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَشَعْرَهُ))

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي شاعر قريش وفتاها ولد في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة ٠٠ فقييل أي حق رفع وأي باطل وضع ومات سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره مقدار سبعين سنة (٦) .

وقال عوانة عنه : ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها (٧) .

هذا بالتقويم الهجري أما الميلادي فقييل انه ولد سنة ٦٤٤ م ومات سنة ٧١١ م (٨) .
شاعريته :

لقد اعترف له بالشاعرية كبار الشعراء أمثال الفرزدق حيث يقول حين سمع شيئاً من نسيبه : « هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه » ولما أنشد رأيته الشهيرة قال عنه جرير : « ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر » .

(٦) يراجع ج ٣ : ص ٤٣٩ وفيات الأعيان لابن خلكان ط : بيروت .

(٧) يراجع ج ١ : ص ٧١ الأغاني ط : دار الكتب المصرية .

(٨) يراجع ص ٥ ديوانه ط : دار بيروت للطباعة والنشر .

وتراجع أخباره في خزانة الأدب للبغدادي ج ٢ : ص ٢٢ ط :

الخانجي .

وسئل حماد الراوية عن شعره فقال : « ذاك الفستق

المقشر » .

ومما يحسب له أنه جعل الغزل فنا مستقلا يعرف به صاحبه بعد أن كان غرضا تابعا لغيره من الأغراض ، أو وسيلة يستهل بها الشاعر قصيدته للوصول الى غايته ، فقد وقف ابن أبي ربيعة شعره على المرأة ، فكان أتبع لها من ظلها لا تروقه الحياة الا فى مجلس حب ولهو ، فكان أسير الحسان ! .

مكونات شخصيته الغزلية :

كان لعمر بن أبى ربيعة من شبابه وجماله وشاعريته وكرم أرومته ما يسر له سبل الملذات ، فلها وعبث ما شاء أن يلهو ويعبث ، فما وقعت عيناه على حسناء قرشية أو غير قرشية الا تتبع خطاها وشهرها بأشعاره ، ولولا نسبه فى قرين وشوكة بنى مخزوم لناله من وطأة السلطان ما نال سواه من الشعراء الغزليين ، ومع ذلك لم ينبج من تهديد بعض الولاة كالحجاج الذى توعد به ان ذكر فاطمة بنت عبد الملك بن مروان .

ميزته فى الغزل من الشعراء الغزليين :

لقد وصف المرأة كما وصفها غيره من الشعراء ، ولكنه يتميز بادراك نفسياتها ، وتصوير أهوائها وعواطفها ، والتنبه لحركاتها وإشاراتها ، ومعرفة حديثها وطرق تعبيرها ، فليست المرأة عنده شبحا غامضا أو جسداً يتراءى فى شعره ، بل هى روح خافق الفؤاد ممتزج بعناصر الحياة .

وقد جاء القصص الغرامى عنده أوسع وأتم مما هو
 عند أستاذه امرئ القيس ، فقد وسع عمر نطاق الحوار ولم
 يقصره على شخصين وراعى فيه تعابير المرأة فأحرز السبق
 على معاصريه ، والملاحظ أنه أضيف على غزله شيئاً كثيراً
 من خفة روحه ورقة طبعه فجاء حلو الألفاظ ناعم الملمس^(٩) .

مأخذ غزلية على عمر بن أبى ربيعة :

ومع ما قيل عن رقة شعره واختراقه نفسية المرأة ،
 إلا أنه لم يسلم من ناقديه ، فقد كان المفضل بن أبى سلمة
 يضع من شعره فى الغزل قائلاً : (انه لم يرق كما رق
 الشعراء لأنه ما شكأ قط من حبيب هجرأ ، ولا تألم لصد
 وأكثر من أوصافه لنفسه وتشبيبه بها ، وأن أحبابه يجدون
 به أكثر مما يجد بهم ، وينحسرون عليه أكثر مما يتحسر
 عليهم) (١٠) .

عفته ونسكه وتركه الشعر :

كان عمر على غزله المكشوف عفيفا ، حدث المغيرة بن
 عبد الرحمن عن أبيه قال : دخلت مع أبى مكة فجاءه عمر
 فسلم عليه وأنا غلام شاب فجعل يأخذ بخصلة من شعرى
 فتمتد فى يده ثم يرسلها فترجع فيقول : واشباباه ! فقال لى :
 يا ابن أخى قد سمعت قولى : قلت لها وقالت لى ، وكل مملوك
 لى حر ان كنت قط كشفت عن فرج حرام ! قال : فقمت وفى

(٩) عن مقدمة ديوانه ص ٥ - ٩ بتصريف .

(١٠) يراجع الموشح ص ١٩٤ ط : السلفية بمصر .

نفسى من يمينه شىء ، فسألت عن رقيقه فقيل لى : أما فى
هذا الحول فسبعون
وقال عثمان بن ابراهيم : حججت أنا وأصحاب لنا فلما
رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن أبى ربيعة وقد
نسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟
فملنا اليه وسلمنا عليه وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا (١١) .
ليكننى أحسب هذا نسك العاجزين ، وقد يكون خوفا منه فى
أخرياتة وأمره الى الله .



(١١) يراجع ج ١ : ص ٢٥٢ - ٢٥٤ زهر لأدب وثمر الألباب

للخصرى ط : الحلبي . تحقيق على محمد البجاوى .

موازنة بين رائيتي جميل بثينة

وعمر بن أبي ربيعة (١٢)

مطلع رائية جميل :

أغاد أخى من آل سلمى فمبكر ؟

أبن لى : أغاد أنت أم متهجر ؟ (١٣)

مطلع رائية عمر بن أبي ربيعة :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غد ، أم رائح فمهجر ؟ (١٤)

كلاهما يستهل رائيته مستفهما عن الغدو والابكار ، ثم

يعيد جميل الاستفهام عن الغدو والتهجير ، بينما ينفرد

عمر بن أبي ربيعة بالاستفهام عن الرواح والتهجير .

ويكنى جميل عن محبوبته بأل سلمى ، بينما يكنى ابن

أبي ربيعة عنها بأل نعم .

والملاحظ أن استفهام جميل ينصب على الغدو (أغاد)

والتبكير .

(فمبكر) ويجعل بين الغدو والايكار فاصلا رقيقا رقة

شعره حين يقول : (أغاد أخى من آل سلمى) ويزداد

(١٢) تراجع رائية جميل بديوانه ص ٢٦ ، ٢٨ ط : بيروت ، تراجع

رائية عمر بن أبي ربيعة بديوانه ص ١٢٠ - ١٢٧ ط : بيروت .

(١٣) غاد : سائر غدوة . مبكر : سائر بكرة ، وهما الوقت بين

ظهور الفجر وطلوع الشمس . متهجر : السائر في الهجرة وهى شدة

الحر ونصف النهار .

(١٤) الرائح : السائر في الرواح وهو المشى .

استفهامه رقة حين يقول : (أبن لى أغاء أنت أم متهجر)
كأنه جد مشوق الى معرفة خبر الغدى أم التهجير ، ويفصل
بقوله (أنت) تأكيداً لمن يخاطبه ، أو نفسه بأن كان جرد من
نفسه انسانا بينما جاء استفهام عمر (أمن آل نعم)
(أنت غاد فمبكر غداة غد) محمداً اليوم .

وشفع ذلك بقوله (أم رائح فمهجر) حيث استفهم عن
الرواح بالعشى وفى الهاجرة ، وكان السياق يقتضى أن
يجعل الهاجرة أو لاثم الرواح بعدها ، فربما اضطر لضرورة
القافية وكأنى بعمر يريد النهار كله من غدو وهاجرة
ورواح . لكن استفهامه فيما أرى جاء خلواً من الرقة التى
نراها فى استفهام جميل !
قال جميل :

وأخر عهد لى بها يوم ودعت

ولاح لها خد مليح ومحجر^(١٥)

يقابله بيت ابن أبى ربيعة :

فأخر عهد لى بها حين أعرضت

ولاح لها خد نقى ومحجر

(يذكر جميل) آخر لقاء له مع الحبيبة ذاكراً أنها ودعته

حين الفراق ، ولم ينس لحظتها صفحة خدها المليح ، فقد

أنعم النظر اليها فى هذا الوقت أنصيب ليكون ذاكراً

(١٥) المحجر : ما يظهر من نقاب المرأة ، أو ما دار بالعين من

العظم الذى فى أستر الجفن (اللسان : حجر) .

ومتزوداً من بهى جمالها لوقت الوحشة حين العباد !
(أما ابن ربيعة) فانه يذكر آخر عهد له بحبيبته (نعم)
حين أعرضت عنه اما دلا ، واما قلى ، واما ضيقا به لحرصه
على اظهار حبه لها وهى تريد الستر خوف الرقباء .
ولا ينسى خدها النقى الذى لاح له فتملى منه .
ولعل ما يؤيد ضيقها به خوف افتضاح أمرهما قوله
بعد ذلك مباشرة :

سوى أننى قد قلت يا نعم قولة
لها والعناق الأرحبيات تزجر (١٦)
هنيئاً لأهل العامرية نشرها اللذي
— ذ وريهاها التى أتذكر (١٧)

أحسبه يعنى : ما جنيت ذنباً تجعل الاعراض عقوبة
عليه ، الا أننى قلت لها قولة حين شد الرحال : هنيئاً لأهل
العامرية نشرها اللذيذ ورائحتها الطيبة ، وبالنظر الى قول
الشاعرين أرى أن جميل اختار لفظ (ودعت) والوداع
لا يكون عن قلى ، وانما يكون عن حب كامن فى حنايا القلب
ولله المثل الأعلى (ما ودعك ربك وما قلى) الضحى ٣
اذ العطف يقتضى المغايرة .
أما ابن أبى ربيعة فانه اختار لفظ (أعرضت)

(١٦) العناق : الكرائم ، الأرحبيات : النجائب، المنسوبة إلى

أرحب وهو فحل مشهور فى الإبل .

(١٧) النشر : ريح فم المرأة وأعطافها . من النوم . الريا : الراحة

الطيبة .

والاعراض يومىء بشيء فى نفس الحبيبة دعائها الى
الاعراض عنه ، ولو لم تكن تبغضه فانها ربما كرهت منه
اظهار الحب بمغامراته واتيانه ديارها غير هيباب ولا وجل
مما اضطرها الى الاستعانة بأخواتها ليسترنها من الملاء !!

وشتان بين (ودعت) و (أعرضت) • فالوداع اذن
ينبىء عن حب عميق لجميل فى نفس بثينة ، والاعراض
يوحى بشيء غير حميد لعمر فى نفس (نعم) ودليلنا قول
القائل :

فلما رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى

أعرضن عنى بالخدود النواضر

كذلك نجد وصف جميل لخد بثينة بأنه (مليح) بينما

وصف (عمر) خد (نعم) بأنه (نقى) •

وأرى أن الملاحظة أبلغ فى الدلالة على جمال خد بثينة
فى عيني (جميل) فالملاحظة تعنى جمال العينين والشم والأنف
والوجنتين والجبهة وكل شيء فى الوجه ، اذ الخد أمير
الوجه ، وملاحظته ملاحظة لكه • أما (عمر) فانه وصف خد
(نعم) بأنه (نقى) والنقاء يعنى الصفاء وبذلك يتناول
جمال وجهها من زاوية واحدة هى : الصفاء ولعله راقه منها
بياض وجهها ، فقد يكون صافيا ، لكن فيه بعض هنات تذهب
ببهائه ، فما صفاء خد تعلوه عينان ضيقتان ، أو يجاوره
أنف أفطس أو يسفل عنه فم متسع ، أو يعلوه حاجبان غير
مزججين ! • لكن ملاحظة الخد تعنى جمال كل الوجه •

لذا أرى جميلاً قائماً على عمر فى تصوير آخر لقاء له

مع الحبيبة فى عباراته الجميلة وألفاظه المنتقاة ، وطبعه
الغزلى الرقيقى .

قال جميل ذاكراً آخر لقاء بينه وبين بثينة أنه كان ليلاً

حيث يقول بعد قوله السابق :

وأخر عهد لى بها ٠٠٠ البيت :

عشية قالت : لا تضيعن سرنا

اذ اغبت عنا ، وارمسة حين تدبر

بينما يقول عمر بعد حديثه عن وجوده بنعم ذاكراً أن

اللقاء كان غداة :

أكنى إليها بالسلام فانه

يشهر المامى بها وينكر (١٨)

بأية ما قالت غداة لقيتها

بمدفع أكنان ، أهذا الشهر ؟ (١٩)

نلاحظ أن جميلاً ينشد الستر لنفسه ولحبوبته فيتخذ من

الليل ستاراً ومجناً يقيه أعين الرقباء ، حيث يقول على

لسانها :

عشية قالت لا تضيعن سرنا ٠٠٠ البيت .

فالليل ساتر للأحبة من افشاء حبههم ومن تربص

حاسديهم وهذا خلق نخمده للشاعر حيث يحرص على عدم

(١٨) الكنى : احمى الكنى إليها وهى الرسالة . يشهر : يذاع .

المامى : زيارتى . ينكر : يستنكر ويستغرب .

(١٩) بأية : بعلامة . مدفع أكنان : اسم موضع ، والمدفع :

مجرى الماء حيث يندفع السيل .

اكتشاف أمرهما وأن كان المحبون يستيحيون لأنفسهم ما لا
يستباح جميلا بلغ من السمو بالحب ما يشكر عليه .
أما عمر بن أبي ربيعة :

فانه يذكر لقاءه بمحبوبته (غداة) وهذا في بداية
الحب ، فقد ضمهما الليل البهيم بعد في شعر آت سوف
نعرض له . لكن الغداة أفضح للأمر وأكشف للستر من
العشوية ولذلك قرن اللقاء بالغداة بقولها عنه أهذا
المشهر ؟ .

اذ الشهرة في الغداة أكد ، ولعله فطن الى مغية ما أقدم
عليه في تجرؤه عليها حيث يقول هذا البيت مجرداً من نفسه
انساناً يخاطبه أو يخاطب صاحباً له حقيقة :

الكنى اليها بالسلام فانه
يشهر المامى بها وينكر
أى احمى عنى السلام اليها فان زيارتى لها تذاق
وتستغرب .

ثم يجيء البيت الذى نعينه قائلاً :
بأية ما قالت غداة لقيتها . . .

فعمر جسور ركاب للمخاطر فى حبه مع (نعم)
وغيرها (٢٠) أما جميل فهو هادىء الحب طاهره مؤثر للمستتر
غير مغامر .

قال جميل على لسان بثينة ترجوه حفظ سرهماً وذلك

عشية آخر عهده به :
وطرفك اما جبئتنا فاحفظنه
فذيع الهوى باد لمن يتبصر
وأعرض اذا لاقيت عينا تخافها
وظاهر ببغض ان ذلك أسـتر
لأنه ان أظهر ودا يشيع أمرهما على لسان الوشاة :
فانك ان عرضت فينا مقالة
يزد في الذى قد قلت : واش ويكثر

وينشر سراً فى الصديق وغيره
يعز علينا نشره حين ينشر
تحرص بثينة كل الحرص على حفظ حبهما مكنونا فى
القلب ، ولذلك تؤكد (فاحفظنه) ولو قالت (فاحفظه) ما كان
له قوة التأكيد التى عبرت بها وتأكيد تسبقه فاء التعقيب
تعنى عقب المجيء حفظ مؤكد للطرف ، وكأن قائلاً قال
لماذا ؟ .

فكان الجواب مصدراً بالفاء التعليلية .
(فذيع الهوى باد لمن يتبصر) حقاً ان حفظ النظر حائل
دون إذاعة الهوى ، ولو صرح ليعرف كل ذى بصر !
وما أجمل قولها (قوله على لسانها) ناصحة ومشفقة عليه
من كاشح يتربص به :

وأعرض اذا لاقيت عينا تخافها
وظاهر ببغض ان ذلك أسـتر
تأمره بالاعراض لو فوجيء بانسان يخافه ، كما تأمره
أن يبدي البغضاء لهذا الحى فذلك أسـتر ، وتبدو روعة

المجاز المرسل فى (عينا تخافها) لأن العين هى الرقيبة وبها يرحص الرقيب من يرقبه ، وقد قيدها بأنها عين مخيفة ، اذ لو كانت عين محب ، أو لانسان يألفه فلا ضير .
وفى قولها (ظاهر ببغض) أدوم للحب وأحرص عليه فالأظهار غير الاخفاء ، لأنها تبغى القلب وتريده حافظا لحبها أما الظاهر فلا يعينها ما دام الباطن سليما ، والأظهار فيه خداع للوشاة والحاسدين !
ثم تبين له ضرر العلانية بمكنون الحب معللة ومؤكددة
كلامها :

فانك ان عرضت فينا مقالة

يزد فى الذى قلت : واش ويكثر

ويبدو حذرهما الشديد من أن يقول شيئا يوحى بحبها حين تثبت له مستخدمة أسلوب الشرط نتيجة التعريض :

فانك ان عرضت فينا مقالة

يزد فى الذى قلت : واش ويكثر

ولا يكتفى الواشى بما قيل ، بل سيزيد عليه زيادة ينشرح لها صدره ويطفىء بها غليله ، وذلك حين ينشره فى الصديق وغيره وهو سر (يعز علينا نشره حين ينشر)
صعب علينا نشره !

لذلك فعليك بحفظ طرفك ولسانك اذا جئت نحونا وفى

حفظ الطرف استعارة جميلة .

وعبرت عن الطرف لأنه على ما يبدو أن الطرف له من الوقع ما ليس لغيره فهو إشارة المحبين ورى العاشقين وباسم المجروحين (حبا) وفيه أن القوم رصد حتى لحركات

العين، فكأن منهم على حذر .
وكأني بها تلومه على ارسال طرفه نحوها فألحق بها
اللوم من أهلها فقالت غير عابئة بنهيهم لها :

فما زلت فى اعمال طرفك نحونا
إذا جئت حتى كاد حبك يظهر

لأهلى ، حتى لامنى كل ناصح
وانى لأعصى نهيم حين أزجر

وعبارة (ما زلت) تدل على الاكثار من ارسال طرفه
نحوها ، حتى كاد يظهر حبه لأهلها ، وهذا ما كانت منه
تمذر !

وتكرار (حتى) يوحى بأنه أكثر من الاشارة بطرف
العين نحوها الى أن كاد يبدو حبه لأهلها ، الأمر الذى أنحى
بالأئمة عليها من كل ناصح ، وان دل هذا على شيء فانما
يدل على أن أهلها يرقبون جميلا ، يرصدون حركات عينيه ،
وهذا يشير الى يقظتهم ، وفى نفس الوقت فهم لبثينة
تأصحن ، ونلمح من هذا أن بثينة ذات مكانة فى قومها
حين يخافون عليها والتعبير بـ (لامنى كل ناصح) يفيد
العموم ويوضح لنا أن اللوم ارتدى ثياب النصيحة
والاشفاق عليها لكن بثينة لم تصنع للوم اللائمين ، حين
قالت :

(وانى لأعصى نهيم حين أزجر)

مؤكدة بان واللام عصيان نهيم ومثى ؟
حين الزجر ، والزجر شاق على النفس، وهذه المؤكدات
ثومىء الى تكرار النهى منهم والاصرار على العصيان منها

فى حب جميل !
 ويزداد اصرار بثينة على استعذاب زجر أهلها لها من
 أجل جميل الذى مس حبه شغاف قلبها حين تقول نافية أنها
 تؤذنه بفراق حين تعتب عليه بل جعلت أهلها فداء له :
 وما قلت هذا ، فاعلمن تجنبنا

لصرم ، ولا هذا بنا عنك يقصر (٢١)

ولكننى أهلى فداؤك اتقى

عليك عيون الكاشحين وأحذر (٢٢)

جميل منها هذا النفى لقولها السابق عاتبة عليه اتيان
 حيتها مرسلًا طرفه نحوها ، حتى ليئت من أهلها ، فعصتهم
 ان تقول : (وما قلت هذا فاعلمن تجنبنا لصرم) .

وأجمل من النفى الجملة الاعتراضية (فاعلمن) دفعا
 للايهام بأنها ستصرم حبال وده للوم اللائمين ، ومما يزين
 هذه الجملة الاعتراضية الفاء التعقيبية والفعل (اعلم)

ونون التوكيد .

واعلم للاحتراس والتنبيه من أن يقع فى روعك أن

بثينة صارمة لحبك .

ثم تؤكد هذا حين تقول : ولا هذا (كلامى لك) مدعاة

لالتقصير فى حبك ، ثم أثبتت له صدق قولها مستدركة :

(ولكننى أهلى فداؤك) بأسلوب رائع أخاذ ، كيف وقد

جعلت أهلها الذين يخافون عليها وتشرف بالانتساب اليهم
 فداء لجميل ، وتزداد الروعة حين تقدم أهلها قرمانا وفداء

(٢١) لصرم : لقطيعة .

(٢٢) الكاشحين : الأعداء .

للمفتدى ، ولم تقل (فداؤك أهلى) فقدمت أهلها فدية ليسلم
جميل ! فليهلك أهلها كمدا وغيظا لبهنا ، جميل بطلبته .

وتردّف ذلك بقولها :

• (أتقى عليك عيون الكاشحين وأحذر)

أخاف عليك عيون الأعداء حين يلحظونك فى حيننا حذرة

• من أن ينالك منهم أذى

وحضرت الأعداء الذين يخشى بأسهم حيث تقول :

وأخشى بنى عمى عليك وانما

يخاف ويتقى عرضة المتفكر

واختارت بنى عمها لأنهم الذين سوف تلوكهم الألسنة

إذا ما أعلن أمر حبها ! وتمدح بنى عمها حين يغارون عليها

فهم ذوى فكر ولب ، وليسوا من البازدة والنذالة بحيث

لا يغارون على أعراضهم ، فهى جد حريصة على حياة

• جميل من أهلها

وعلت لذلك الخوف مظهرة لجميل صدق قولها حيث

يقول الناس عنه حين يروه بينهم غريبا مرتابين فى أمره

• فلماذا يطرق ديارهم ؟

وأنت امرؤ من أهل نجد وأهلنا

تهام ، فما النجدى والمتغور (٢٢)

غريب إذا ما جئت طالب حاجة

وحولى أعداء وأنت مشهر

(٢٢) تهام : تهامى أى من تهامه • المتغور : من يأتى الغور ويؤاد

وقد حدثوا أننا التقينا على هوى

فكلهم من حملة الغيظ موقر (٢٤)

من الطبيعي أن يحار القوم في رجل غريب نجدى بين
ربوع تهامة ما الذى أتى له هذا الرجل ؟ وما الحاجة التى
يطالبها من هذا الحى ؟

ويزداد حرصها عليه حين تقول احذر :

فـ (حولى أعداء) اك محيطين بى وأنت علم فاست
بانسان مغمور لا يعبأ به ، بل أكدت له أن القوم قد تحدثوا
فى ناديهم بأنا (جميل وبثينة) التقينا - لقاء مريبا (على
هوى) حتى امتلأت قلوبهم غيظا .

وتتجلى روعة التعبير فى قولها : (فكلهم من حملة
الغيظ موقر) جعلهم جميعا قد حملوا الغيظ حتى أثقل
كواهلهم ورائع من جميل تجسيم الغيظ وهو شئ لا يجسم ،
لكن صاغه فى أسلوب استعارى بالغ حد الروعة .

وبذلك تختتم بثينة وصاياها لجميل ليديم الحب ويخلد
فى سر وكتمان بعيداً عن أعين الرقباء وتبقى صفحاتها
نقيتان من قول الواشين وشنآن الشانئين !

رد جميل على وصايا بثينة :

فقلت لها يا بثن أوصيت حافظا

وكل امرىء لم يرعه الله معور (٢٥)

(٢٤) موقر : مثقل بحمله = يقال أوقره الدين : أثقله ، وبأذنه

وقر : ثقل أنظر أساس البلاغة (وقر) ص ٥٠٦ ط : دار الكتب ١٩٣٥م .

(٢٥) معور : ممكنة مقاتلة ومواضع الخلل فيه .

فان تك أم الجهم تشكى ملامة
الى فما ألقى من اللوم أكثر (٢٦)
سأمنح طرفى ، حين ألقاك غيركم
لكيما يروا أن الهوى حيث انظر

بعد أن أصغى الى وصاياها أجابها بأنها أوصت حافظا
لعهدا وسرها ، ثم ركن الى الله تعالى طالبا رعايته موقنا
أن العون منه ومن فاتته رعاية الله تعالى عاجز أمام أى قوة
تلقاه ! .

وناداهما باسمها مرحما للندليل ، ومن يدل ان لم يدل
بثينة ؟ ثم دلف الى أسلوب آخر حيث التفت من الخطاب الى
الغيبة مكنيا عنها بأمر الجهم قائلا :

ان تشكى ملامة أهلها الى فاننى ألام أكثر منها ، ومع
ذلك أحتمل هذا اللوم بين جنبى ولا أبوح به ، ولا جرم فهو
القائل :

لا لا أبوح بحب بثنة انها

أخذت على موافقا وعهوداً

ثم بين لها السبيل الى تعمية حبهما عن الناس حسبما
أشارت به عليه من قبل سأمنح طرفى حين ألقاك غيركم . . .
البيت .

لقد طلبت منه حفظ طرفه بمعنى لا ينظر اليها تحاشيا

(٢٦) أم الجهم : كنى بها عن بثينة .

لبني عمها لكنه ذهب الى أبعد من هذا حين وعدها بمئخ طرفه حين يلقاها غير حيها ، أى ينظر الى جهة أخرى امعانا فى الاخفاء وتضليلا لمن يرقبونه ، وجميل من الشاعر قوله :

(سأمئخ طرفى) فى أسلوب استعارى رائع أجاد فى اختياره ان هو أبلغ مما لو قال سأنظر ، وهذا يدل على أن طرفه لا ينظر الى سوى بثينة فكأنها تملكه ومن أجلها سسئمنحه بأمرها الى جهة أخرى ليئخدع به الراصدين فيئسبوا أن هواه جهة نظره !

يكن قلب جميل قلق من صرف النظر الى غير بثينة صرفا موقوتا فهو يرجو فى هذه اللحظة أن يلتقى طرفه وطرفها فى السماء حين ينظر الى غيرها حيث يقول :

أقلب طرفى فى السماء لعائه

يوافق طرفى طرفكم حين ينظر
ذلك شاف له من الحرمان القليل فهو يرجوه فى السماء
ان ضاقت عليه الأرض بما رحبت !

ويذهب الى أبعد من ذلك تمويها حيث يقول :

وأكنى بأسماء سواك وأتقى

زيارتكم والحب لا يتغير

لا يذكر اسمها لكنه يذكرها بكنى سواها ويخشى
زيارتها .

ويحتسب مبنيا أن الحب ثابت لا يتغير ، فمهما صرف طرفه الى غيرها ، ومهما كنهاها بكنى سواها ، ومهما ترك الزيارة لها لكن قلبه عامر بحبها ، لتكون على ثقة - وهى

واثقة - فى حبه ، وذكر لها الدليل لتزداد ثقة فيه :

فكم قد رأينا واجداً بحبيبة

إذا خاف يبدى بغضه حين يظهر

لا يكن ذلك مؤثراً عليك فكثيراً رأينا مولعاً بحبيبة إذا

خاف من عداله يبدى البغض إذا ظهرت حبيبتة خداعاً

للراصدين له ! •

فلست بدعا من المحبين حين أفعال ما أفعال لينخدع

اللائمون لى ولك ولكن حبنا باق فى نياط القلب ألا ما أروعك

يا جميل ! •

* * *

أما عمر بن أبي ربيعة :

فقد قالت له (نعم) :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا
لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

بتقديم إذا الظرفية وجوابها (فامنح) ولم تقل له طرفك
وانما قالت (طرف عينيك) ولعل ذلك ما يوحى بأنه كان
يشير بالعينين كليهما الى جهة الحبيبة فيلفت الأنظار
الراصدة له ، فهي تطلب منه أن يمنح (بأسلوب استعاري
ببلغ) نظراته المختلصة اليها غيرها لكي يخدع الحاسدون
ويحسبوا أن هواه الى حيث ينظر !

وبالنظر الى قول بثينة لجميل في هذا المعنى :

وطرفك اما جئتنا فاحفظنه

فذيع الهوى باد لمن يتبصر

نجدها تهتم بالطرف فتقدمه على المجيء لأنه يريد الحب
النابع من القلب ، ولم تطلب منه النظر الى غيرها ، إذ أكدت
عليه حفظه (فاحفظنه) وفي الحفظ معان تذهب فيها العقول
كل مذهب ، فحفظه من الرقباء يجلب لك السلامة من أذاهم ،
وبذلك يدوم لنا الحب في سعادة ففي حفظ الطرف حفظ
لأحب أبدأ ، أو احفظنه من النظر الى سواي وكان تعليها :
أن اعلان الهوى يعرف لمن يتبصر ولم تقل يبصر ، أي لمن
يتطلع ويرقب ويرصد ويدرك مرمى البصر فكن من هؤلاء
وأولئك على حذر ! •

وقولها (باد) دال على الثبوت الذي لا يرقى اليه

المشك • أما خداع الراصدين فكان من جميل نفسه حيث
يقول لها :

سأمنح طرفى حين ألقاك غيركم
لكيما يروا أن الهوى حيث أنظر

وأرى أن عمر بن أبى ربيعة قد أخذ هذا المعنى من
جميل ، إذ ضمنه بيته السابق • لكن جميلاً يعتمد على
الرؤية البصرية (لكيما يروا) بينما اعتمد ابن أبى ربيعة
على الظن (لكى يحسبوا) وراءة الوشاة نظر جميل
مصوباً نحو غير بثينة أكد وأبعد بثينة وجميل عن الريبة
بالقطع الذى لا يقبل الجدل ، فحبه الى جهة نظره يروونه
رأى العين ، وهذه عادتهم أما ابن أبى ربيعة فكان دون
جميل فى تعبيره إذ الظن ليس ثبوتياً ، فقد يظنون أنه ينظر
الى جهة حبيبة أخرى غير (نعم) وقد يظنون غير ذلك ،
وساحته لم تبرأ على أية حال كما برئت ساحة جميل • فما
أروع جميلاً ! •

هذا ويبدو جلياً أن الشانئين لجميل وعمر أكثر بدليل
قول جميل (لكيما يروا) وقول عمر (لكى يحسبوا) ولو كان
واحداً لأفراداً فقالوا : (لكيما يرى) ، (لكى يحسب) •
وهذا يدل على قوتها وصلابتهما حيث أنها مستهدفان
من أعداء كثيرين يعضون عليهم الأنامل من الغيظ ولا يابهان
بما يخوفان به •

لكن ما الداعى الى صرف الطرف عن الحبيبتين ؟ •

بثينة :

طلبت بثينة من جميل أن يحفظ طرفه اذا جاءها عشية
قالت له ناهية له ومؤكدة عليه :

(لا تضيعن سرنا اذا غبت عنا) .

فى غيبتك عنى كن كتوما للسر الذى كان بيننا فى
حضورك ولم تكثف بذلك بل أكدت عليه حين أمرته :

(وارهة حين تدبر) بأسلوب استعارى جميل ومتى
تكون الرعاية ؟ حين يولى مدبراً عنها فبثينة تنشد الستر
وتحض عليه ولذلك توصى جميلاً فى زيارته المقبلة أن يحفظ
طرفه . الخ .

والمحوظ هنا أن جميلاً لم يحدث منه ما يعكس صفو
الحب من مغامرات غرامية من شأنها أن تفضح الحبيبة ،
الهمم الا اعمال طرفه نحو بثينة كلما جاء حياها حتى كاد حبه
يظهر لقومها ، وذلك من لومها اياه :

فما زلت فى اعمال طرفك نحونا
اذا جئت حتى كاد حبك يظهر

لأهلى حتى لامنى كل ناصح . . . البيت .

فالتست منه التمويه حين يجىء بحفظ طرفه خشية

لوم اللأئمين ! .

فأجابها بما يحقق مرادها حين قال لها : (يا بثن
أوصيت حافظاً) سأمنح طرفى حين ألقاك غيركم ، وأكنى
بأسماء سواك ، وأتقى زيارتكم . . . الخ .

أما نعم :

فانها لم تكن هي الأمرة بمفردها لعمر أن يصرف طرفه
الى غير جهتهم خداعا لأهلها ، وانما تجاوزها الأمر الى
أختيها حين عرفت ما كان من عمر مع أختيها من غرام فى
ليلة ذى دوران وكاد أمره يفتضح لدى الحى فاستعانت بهما
لأخراج عمر من الحى أمنا ، ولتقى نفسها الفضيحة ،
واندعه الآن يقص علينا غرامه الجبرىء مع (نعم) فى
ليلته هذه :

وليلة ذى دوران جشمتنى السرى

(٢٧) وقد يجشم الهول المحب المغرر

فبت رقيبيا للرفاق على شفا

(٢٨) أحاذر منهم من يطوف وانظر

وبت أناجى النفس : أين خباؤها ؟

(٢٩) وكيف لما أتى من الأمر مصدر

فدل عليها القلب ريبا عرفتها

(٣٠) لها ، وهوى النفس الذى كاد يظهر

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت

(٣١) مصابيح شببت فى العشاء وأنور

(٢٧) ذو دوران : اسم موضع • جشمتنى : كلفتنى • يجشيم :

يذكف • المغرر : الذى يغرر بنفسه أى يعرضها للهلكة •

(٢٨) الشفا : حرف كل شىء وحده •

(٢٩) المصدر : الرجوع عن الماء •

(٣٠) الريبا : الرائحة الطيبة •

(٣١) منهم : من الرفاق الذين معه فى السفر • شببت : أوقدت •

الأنور : جمع نار •

وغاب قمير كنت أرجو غيـوبه

(٢٢) وروح رعيان ونوم سـمـر

فحييت اذ فاجأتها عتـولـهـت

(٢٣) وكادت بمخفوض التحية تجهر

هنا أدركت المحبوبة مقبة ما أقدم عليه (عمر) من جرأة

غرامية كادت تودى بها الى الفضيحة بين قومها :

وقالت وعضت باللبنان: فضحنتني!

وأنت أمرؤ ميسور أمرك أعسر!

أريتك اذ هنا عليك ألم تخف

- وقيت - وحولى من عدوك حضر؟ (٢٤)

فوالله ما أدري أتعجيل حاجة

سرت بك، أم قد نام من كنت تحذر؟ (٢٥)

هل هان أمرنا عليك؟ وهل زال عنك الخوف من أعدائك

مع أنهم حولى (محيطين بى) ما هم ببعيد؟ بل حاضرون؟

ثم تقسم متعجبة أدفعه الى ذلك استعجاله لنيل حاجة فى

هذا الليل البهيم، أم نام رقبأؤه؟ وتأتى بقدر للتحقق من

نومهم لادراكها خطورة شأنهم وقوة بأسهم!

(٢٢) روح رعيان : عادوا بمواشيهم إلى مبيتها . نوم : نام .

العسر : جمع السامر وهو المحدث ليلا .

(٢٣) تولت : تحسرت و تحرقت .

(٢٤) اريتك : اخبرنى وأصلها اريتك . هنا : سهلنا . وقيت :

دعاء له . حضر : جمع حاضر .

(٢٥) سرت بك ، مشت بك الحاجة ليلا .

فيجيبها مطمئناً لها :

فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى

اليك وما عين من الناس تنظر

كان مدفوعا اليها بالأمرين معا • قوة الشوق قادتته

اليها ونوم من يحذر ، بل انه خال الشوق الهوى قاندين

له هي طريق الأهوال ، ثم نفى النظر عن أى عين له ، ولم

يذكر النوم ، فقد يكون لبراعته سلك طريقا آخر لا تدركه فيه

الأبصار ، وذلك ليظهر فتوته للمحبة اذ النوم ليس بكاف

في اثبات شجاعته ، فان انسانا ينام خصمه ويمر من أمامه

لا يسمى شجاعا ! •

وعندئذ هدأت بالا :

فقلت وقد لانت وأفرخ روعها

كلاك بحفظ ربك المتكبر (٣٦)

وراح يذكر غرامه بها فى تلك الليلة فى عبث ولهو

معهود به :

قبت قرير العين ، أعطيت حاجتى

أقبل فاها فى الخلاء فأكثر

يمح نكى المسك منها مفلج

رقيق الحواشى نوى غروب مؤثر (٣٧)

(٣٦) أفرخ : هدأ • روعها : قلبها • كلاك : أى كلاك : رعاك

وحرصك • المتكبر : من صفات الله •

(٣٧) يمح : يقلذف من فمه : مفلج : تباعدت أسنانه • الحواش :

الجوانب • الغروب : جمع غرب ماء الثغر ويريقه • مؤثر : محرز

الأسدان •

وترنو بعينيها الى ، كما زنا

الى ربرب وسط الخمييلة جوذر (٣٨)

ويبقى ليلته لاهيا هانئا الى أن يروع بيقظة الحى
فتعطيه موعداً آخر وترتاع هى فتنظر ما هو فاعل للخروج
من برائتهم وقد نسج الصباح خيوطه :

فما راعنى الامناد « ترحلوا »

وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر (٣٩)

فلما رأت من قد تنبه منهم

وأيقاظهم قالت : أشر كيف تأمر (٤٠)

فيجيبها بجرأة قد تجر عليها العمار والشنار بين
قومها :

فقلت أباديهم فاما أفوتهم

واما ينال السيف ثأراً فيثأر (٤١)

فلم تعجبها تلك الجرأة التى تثبت قول القائلين :
فقالت : أتحيقنا لما قال كاشح

علينا وتصديقا لما كان يؤثر (٤٢)

(٣٨) الربرب : قطع بقر الوحش • الخمييلة الموضع الكثير المشجر •
الجوذر : ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه •
(٣٩) راعنى : أخافنى • مفتوق : مضيق • أشقر : مشرب نور
الشمس •

(٤٠) الأيقاظ : جمع يقظان •

(٤١) أباديهم : أجاهرهم بالعنوان • أفوتهم : أسبقهم وأنجو
منهم • فيثأر لهم منى •

(٤٢) الكاشح : البلغض • يؤثر : ينقل •

- ورأت الصواب في الستر بتعاون اختيها :
- أقص على اختي بدء حديثنا
- (٤٣) ومالي من أن تعلمنا متأخر
- فقلت لأختيها : أعينا على نتي
- (٤٤) أتى زائراً والأمر للأمر يقدر
- فقلت لها الصغرى : سأعطيه مطرفي
- ودرعى وهذا البرد ان كان يحذر (٤٥)
- يقوم فيمشي بيننا متنكراً
- (٤٦) فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
- فألبس لباس النساء وخرج بين حبيبتيه وأختيها متخفياً
- من الرقباء وفي ذلك يقول :
- فكان مجنى دون من كنت أتقى
- ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر (٤٧)
- فالكاعبان أختها ، والمعصر هي الحبيبية ، ويبدو أنها
- كأت بالغة الشباب . لكن هنا مأخذ على عمر حين تزيا بزى
-
- (٤٣) بدء حديثنا : أى الخبر بن أوله . متأخر : تأخر .
- (٤٤) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . الدرع : قميص
- (٤٥) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . الدرع : قميص
- المرأة . البرد : ثوب مخطط .
- (٤٦) يفشو : يشيع ويفتضح .
- (٤٧) مجنى : ترسى . ألقى : أخاف . شخوص : جمع شخص
- ويطلق على الذكر والأنثى . الكاعبان : منى الكاعب وهي الجارية في
- أول إدراكها . المعصر : المرأة البالغة الشباب .

النساء واستنصر بالنساء !! نيته لم يحب ، وليته لم ينل من
(نعم) شيئاً آل به الى فقدان رجوليته !! • الأمر الذى
جعل النسوة اللائى أنقذته من ورطته التى جرتها عليه
شهوته الدنيئة - يوبخه ويقرعنه :

فلما أجزنا ساحة الحى قلن أى :

ألم تتق الأعداء والليل مقمر ؟ (٤٨)

وقلن : أهذا دأبك الدهر سادراً

أما تستحى أم ترعوى أم تفكر ؟ (٤٩)

وختمن مقولتهن بالببيت المشهور الذى أرى أن مضمونه
من بيت جميل بثينة السابق (٥٠) ، إذ قلن له ناصحات بعد
التوبيخ :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا

لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

فعمر لم يفطن الى ذلك التمويه ، كما فطن اليه جميل ،
وان كان بايحاء من بثينة لكنه أحسن صنعا حين أراها كيف
يصنع اذا جاءها ، بينما أوحى النسوة اللاتى سترن عمر
اليه أن يعمى على الآخرين حبه ، ولا يأتى مغامراً كعادته !! •

(٤٨) أجزنا : قطعنا •

(٤٩) دأبك : ديدنك وعادتك • سادراً : غير مهتال بما يصنع •

ترعوى : ترجع عن غيرك •

(٥٠) سأمح طرفى حين القاك غيركم

لكيما يروا أن الهوى حيث أنظر

وشتان بين من يفكر وبين من يفكر له ! *

تعقيب :

١ - لقد جانب عمر الصواب حين فاجأ الحبيبة فى خباتها حتى عضت بالبنان . كناية عن شدة خوفها مما جرؤ عليه .

٢ - اطالته المكث لدى الحبيبة حتى انبلج الليل ولاح ضوء الصبح ، وكان يخفيه مراعاة للخفاء أن لا يطيل الى هذا الوقت الفاضح ! لكنه موله ظمآن فلا يدري عن حاله شيئاً سوى اللذة ، حتى قال :

فيالك من ليل تقاصر طوله

وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

٣ - محاولته للخروج من ورطته أن يظهر للقوم فيبارزهم بسيفه ، وفى هذا ما فيه من سوء تدبير وقصر نظر ، انه بذلك يهدى لعدوه افتضاح أمره مع الحبيبة ، اذ بعد أن اتخذ من الليل البهيم ، ومن غياب القمر ورواح الزعيان ونوم السمار سترأ ليخلو بالحبيبة فينال منها مراده ، يجاهرهم ويحاربهم !! مما جعل (نعم) تقول له ان يحقق قول العدو ويثبت ما يقال فاقتزمت عليه ما يستترهما :

فان كان ما لا يد منه فغيره

من الأمر أدنى للخفاء وأستر

٤ - انه وان اتخذ من الليل سترأ للاقاء الحبيبة كان عليه أن يختار الليالى غير القمرية ليكون أكثر خفاء عن الرقباء ،

حتى ان الحبيبة وأختيها لئنه على سوء اختياره فقلن به
موبخات :

« ألم تتق الأعداء والليل مقمر ؟ »

هذا وان كنت ألمح من قوله :

« وغاب قمير كنت أرجو غيوبه »

أن القمر لم يكن بدرأ فى هذه الليلة لتصغيره (قمير)
ولأن البدر التمام لا يغيب حتى الصباح ولذا تسمى بالليالى
البيض فى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فلا
تكون ظلمة فى هذه الليالى . وان كان هذا أو ذاك فما كان
له وهو المغامر الجسور أن يختار مثل هذه الليلة سواء أكان
القمر فيها بدرأ أم غير بدر !

٥ - أنه كما قال عنه المفضل بن سلامة غير رقيق كما رق
شعراء الغزل ، فما شكنا من حبيبته هجراً ، وأنه أكثر من
أوصافه لنفسه ، وأن حبيبته تتحسر عليه أكثر مما يتحسر
عليها (٥١) .

فهو حقيقة هكذا ، اذ اهتمامه بنيل وطره هو المطلوب
ولا تعنيه حبيبته أتفضح أم ينالها من قومها ما ينالها من
نكال !

وأن حبيبته خافت عليه الرقباء مستعينة على ذلك
بأختيها !!

لا نرى فى القصيدة رقة الشعراء الغزلين ، لأنها خلق
من خوف هجر أو ألم لصد ، وأنه يصف نفسه أكثر من

وصفه للمحبوبة بأنه المهيب المغامر القارس كقوله :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت

فيضحي وأما بالعشي فيخصر (٥٢)

أخا سفر جواب أرض نقأذقت

به فلوات فهو أشعث أغبر (٥٣)

انصاف لجميل :

ان جميلا شاعر غزلى رقيق ، يبدو فى غزله اظهار
وجده ولوعة فراق وشدة شوقه ، ان كانت فيه الصفات
المثلى لشاعر النسيب التى تبدو فى وصية أبى تمام للبحترى
بما يتبعه فى فنون الشعر وبخاصة النسيب وهى أن يكثر
« من بيان وصبابة وتوجع الكأبة وقلق الأشواق ولوعة
الفراق » (٥٤) .

كما أنه كان صادق العاطفة ، مما جعل لشعره قوة
مؤثرة وهذا ما حدا بابن سلام أن يفضله على غيره من
الشعراء الغزليين أمثال كثير حين يقول :

(كان جميل صادق الصبابة وكان كثير يتقول ولم يكن
عاشقا) (٥٥) .

(٥٢) عارضت : قابلت والضمير مخذوف : عارضته . فيضحي :
يظهر للشمس . يخصر : يبرد .

(٥٣) أشعث أغبر : من كثرة الأسفار .

(٥٤) زهر الآداب للحصرى ج ١ : ص ١٠١ ط : الرحمانية بمصر .

(٥٥) طبقات فحول الشعراء ص ٤٦١ تحفيق محمود شاكر ط :

المعارف .

سبحه صاحب عزة ، لكنه دون جميل صباية وعشقا !
وحسبى ما أدلل على ذلك به من شعر جميل قوله فى
بثينة التى سمى بها وما نسب فى سواها ، من ذلك ما يرويه
صاحب الأغانى أن جميلاً لقي بثينة بعد تهاجر كان بينهما
ظال أمده فتعاتبا طويلا فقالت له :

ويحك يا جميل ! أتزعم نك تهوانى وأنت الذى تقول :
رمى الله فى عينى بثينة بالقذى

وفى الغر من أنيابها القوادح ^(٥٦)

فأطرق قليلا يبكى ^(٥٧) ثم قال ، بل أنا القائل :

ألا ليتنى أعمى أصم تقودنى

بثينة لا يخفى على كلامها

فقالت : ويحك ! ما حملك على هذه المنى ! أو ليس فى
سعة العافية ما كفانا جميعا ^(٥٨) ! فقد أشفقت عليه بثينة
حين تمنى ذلك وعاب بعض النقاد على جميل هذا البيت
الأخير قائلاً : هذا محال أن يكون أصم ، ثم لا يخفى عليه
كلامها ، الا أن يعطى آية فى خفاء كلام الناس عليه وسماعه
لكلامها ^(٥٩) .

ولست مع هذا الرأى العائب على جميل ، لأن جميلاً

(٥٦) القوادح : جمع قاذحة ، وهى الدودة التى تفسد الأسنان .

(٥٧) واليكاء آية شدة العشق ولوعته .

(٥٨) الأغانى ج ٨ : ص ١٠٤ .

(٥٩) ألوشح للمرزيبانى ص ٢٠ ط : السلفية .

عاشق ولهان وقد صمت أذانه الا من صوت بثيثة فهي في
سمعه وقلبه وكل جوارحه ، (وربما أعطى آية) فهذه
هي الآية :

آية صدق المحبة والعشق .

* * *

((النتائج))

أرى أن عمر بن أبي ربيعة (أستوحى رأيته من رائية جميل للأسباب الآتية :

(أ) عاش عمر بعد جميل قرابة عشر سنين ، إذ كانت وفاة جميل سنة ٧٠١ م بينما كانت وفاة عمر سنة ٧١١ م .
وقد جرت العادة أن يفيد اللاحق من السابق فى الأدب وغيره من فنون المعرفة ، فلا غرابة أن أستوحى عمر من جميل منحاه فى رأيته مع احتفاظه بمنهجه الذى يغير فيه جميلاً .

فجميل ينشد الستر لنفسه ولبيثينة حين يودعها عشية ، وأنه سمع وصاتها بحفظ طرفه وصرفه بعيداً عن بيثينة حتى يؤمنها لوم اللأئمين وشنآن الشانئين بينما عمر يفخر بمغامراته الحسية التى جعلته يجاهر بما كان بينه وبين صاحبه ليلة ذى دوران حتى انبلاج الليل وفى ليلة مقمرة غير ساترة بظلمتها ، وقد استتر بالنسوة حين لاح ضوء الصبح ، غير عابىء بما جرته عليه شهوته من ذل وهوان !! .

هذا وان كان جميل اتخذ من الليل ستراً يقيه رقبة الأعداء ، فان عمر كان يلقي صاحبه فى الغداة مباهاة بنفسه حيث يقول :

بأية ما قالت غداة لقيتها

بمدفع أكنان أم هذا المشهر؟

فالفداة أفصح للأمر وأكشف للستر من العشية التى

كانت ظرفاً للقاء جميل حيث يقول :

عشية قالت : لا تضيعن سرنا

إذا غبت عنا ، وارعة حين تدبر

(ب) تعد رائية جميل كلها وصاة من بثينة واستجابة من

جميل لما توصيه به الحبيبة ، حتى ان جامعي الديوان

يمهرونها بوصايا الحبيبة ، أما عمر فانه ابتداء رائيته

بمغامراته الشهوانية ! وبعد أن تكاد يفتضح أمره ساق

وصية الحبيبة مستقاة من وصية بثينة لجميل في المعاني

والألفاظ ، وان كان للتمويه غير في بعض الألفاظ حتى

لا يعرف أمره ، واستدل على ذلك بقوله في مستهل رائيته :

١ - أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غد ، أم رائح فمهجرجر ؟

أحسبه استوحاه من جميل في مستهل رائيته :

أغاد أخي من آل سلمى فمبكر

أبن لى أغاد أنت أم مهجرجر ؟

آل سلمى عند جميل ، وآل نعم عند عمر ، واتفقا في

الغدو والتهجير والاباكر .

٢ - وقوله عن آخر لقاء مع المحبوبة .

فآخر عهد لى بها حين أعرضت

ولاح لها خد نقي ومهجرجر

أراه مستوحى من قول جميل ذاكراً آخر عهده ببثينة ،

واصفا لها :

وأخر عهد لى بها يوم ودعت

ولاح لها خد مليخ ومهجرجر

ونلاحظ تغيير بعض الألفاظ فى بيت جميل (ودعت)
يقابله (أعرضت) عند عمر ، واتفقا فى (آخر عهد بها)
كما اتفقا فى (لاح لها خد ومحجر) و اختلفا فى صفة الخد:
(مليح) عند جميل ، و (نقى) عند عمر (٦٠) .
٣ - وقول عمر على لسان حبيبتيه وأختيه لائمات
وناصحات له من نزقه وطيشه :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا
لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
وأنحسبه مستوحى من جميل حيث يقول على لسان بثينة :
وطرفك ، إذا ما جئتنا فاحفظنه
فذيع الهوى باد لمن يتبصر
فجيبنا على وصية بثينة :

سأمنح طرفى حين ألقاك غيركم
لكيما يروا أن الهوى حيث أنظر
فاتفقا (جميل وعمر) أى أخذ عمر من جميل قوله :
امنح ، الطرف ، لكى ، الهوى ، وغير (يحسبوا) بدلا
من يروا ، انظر الى تنظر .
٤ - هذا ومن البيتين السالف ذكرهما فى مستهل النتائج
ما يوحى بذلك :

فعمر يقول :
بأية ما قالت غداة لقيتها
بمدفع أكنان أهذا المشهور؟

(٦٠) فى الموازنة سلفا ببيان الفرق ، من شاء فليرجع إليها .

مقتبساً من جميل حيث يقول :

عشية قالت : لا تضيعن سرنا

إذا غبت عنا ، وأرعة حين تدبر

فالفداة عند عمر ، والعشى عند جميل (٦١) .

(ج) إذا استثنينا أبيات عمر بن أبي ربيعة في

غراميات الماجنة مع حبيبته (نعم) أو المكنى عنها بـ (نعم)

فإن ما بقى من الرائية مقتبس من رائية جميل بن معمر ،

معانى وأفكاراً ، بل ألفاظاً وعبارات ، ذكرتها أنفاً ، وأحسب

أن عمر ذكر ما أخذته مع التغيير أحياناً مبعوثاً في ثنايا

غرامياته ليخفى ، والآن أراه غير خاف على نوى الألباب

وأحسب أنني عثرت على هذا الاقتباس بتوفيق بالله تعالى .

(د) إذا نظرنا الى الرائيتين نجد التغاير جلياً بين

منهجين :

منهج عفيف يلتمس الستر ويخشى الرقباء ، ويدعو الى

حفظ الطرف بنقاء وطهر ، غير مدنس بما يشين شأن المحبين

العذريين ومنهج آخر غايته الجسد واللذة الحسية والتفاخر

بنييل المراد غير مبال برقيب ، يتخذ من الفداة لقساء ، ومن

الايالى القمرية أنسا ومكثا ، تفكر له النساء ليخرج من

ورطانه التى تردى فيها !! .

فهل يستويان مثلاً ؟ .

وان تك رائية ابن أبي ربيعة قد حظيت بالذيع والشهرة

ما جعلها حديث الركبان وملهى العاشقين والمجان ! فان

(٦١) وقد أوضحت سلفاً الفرق بين تجاهين .

الرأئية الخالدة حقا لدى كل ذى أدب وفكر ينظر اليها بسمو
الحب العذرى عن اللذة الجسدية . هي رأئية جميل بثينة
الذى قصر غزله عليها وسمى بها .

ودليل على مكانة رأئية ابن أبى ربيعة عند بعض
المتورعين الذين رأوها عبثا ومجونا ما رواه صاحب
الأغانى من :

و أن ابن عباس كان فى المسجد الحرام وعنده نافع بن
الأزرق (٦٢) وناس من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن
أبى ربيعة فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده :

أم آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجـر

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال :
الله يا ابن عباس ! انا ضرب اليك أكباد الابل من
أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقل عنا ويأتيك
غلام مترف من مترفى قریش فينشذك :

رأت رجلا ، أما اذا الشمس عارضت
فيضحى ، وأما بالشىء فيخسر

فقال ليس هكذا قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رأت رجلا ، أما اذا الشمس عارضت
فيضحى ، وأما بالعشى فيخسر

(٦٢) أحد فقهاء الخوارج وإليه نسبت فرقة الأزراقة توفى

فقال ما أراك الا وقد حفظت البيت ! قال أجل ! وان
شدت أن أنشدك القصيدة أنشدتك اياها ، قال فانى أشاء •
فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها (٦٣) •

هذا ولبعض النقاد رأى حول هذه الرواية ، حيث
ينكرها قائلاً : (وانى أقف أمام هذه الرواية موقف الشاك ،
بل المنكر ، وأرى أنها موضوعة للدفاع عن عمر بن أبى ربيعة
من ناحية ، وللتدليل على ذكاء ابن عباس من ناحية أخرى)
واستند صاحب هذا النقد على سببين جوهريين :

أولهما : يقول فيه : اننى استبعد على ابن عباس وهو
من حملة الدين الجديد أن يستحسن شعراً يعترف فيه صاحبه
بارتكاب منكر لا يقره الدين ! •

ثانيهما : ما فى هذه القصة من تكلف واضح يتجلى
فى نسبة التثاقل الى ابن عباس فى بيان الحلال والحرام
لقوم يضربون اليه أكباد الابل من أقاصى البلاد ، لأننى أربأ
بإبن عباس أن يكون مغروراً بعلمه أو معجباً بنفسه أو
مقصرأ فى تبليغ أمانة العلم لمن يطلب منه إيضاح الحلال
والحرام (٦٤) •

ومع ما قيل من صحة نسبتها أو عدمه فاننى أؤيد
• أحمد بدوى فيما ذهب اليه من شك وارتياب فى هذه
القصة لدين ابن عباس وورعه اللذين يأتيان عليه ذلك

(٦٣) الأغاني ج ١ : ص ٧٢ -

(٦٤) أسس النقد الأدبى عند العرب د/ أحمد بدوى : ص ١٠٠

الاعجاب بشعر هذا شأنه أو الاعجاب بنفسه والاعتزاز بعلمه .

لكننى لا أنكر علم ابن عباس بالشعر وحثه على روايته لأنه ديوان العرب حيث يقول : (الشعر ديوان العرب ، هو أول علم العرب فعليكم بشعر الجاهلية شعر أهل الحجاز) (٦٥) .

والمح من هذه الرواية دليلاً على ما ذهب إليه من أنها (رائية عمر بن أبي ربيعة) مع ما اشتهرت به فإنها محل لوم وتقريع لمن يتناقلها أو يرويها من نوى الأفكار والبصائر فأين نقاء الحب وسموه من ترديه في حماة الخنا والفجور! وان شئت فقل : أين الثرى من الثريا ؟ وحسبى دليلاً ما أقوله وبالله التوفيق : ان ، جميلاً أحب بثينة حبا عفيفاً وأراد الزواج منها فمنع ، لكنه ظل على حبه العفيف حتى قضى نحبه ، وكان آخر شعره في حباته نعيه الى بثينة حيث يقول :

صدع النعى ، وما كنى بجميل
وثوى بمصر شواء غير قفول
قومي بثينة فاندبى بعويل
وابكى خليك دون كل خليل
فلما جاءها الناعى راكبا ناقته وشاقا حلتة ، صكت

(٦٥) جمهرة أشعار العرب للقرشى ج ١ : ص ١٤٦ تحقيق البهاسمى

وجھها ، حتى صعقت ، فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت
وقالت :

وان سلوى عن جميل لساعة
من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر
إذا مت ، بأساء الحياة ولينها (٦٦)

ومما يعضد هذا الدليل أن الأدباء والنقاد في شتى
العصور يكبرون جميلاً وما شأنه أحد منهم بوصمة أو
بمذقصة حتى لأراه ممتطياً جواد العفة والطهر .

على حين غصت أمهات الكتب (أدبا ونقداً) بالآراء
التي تنال من عمر بن أبي ربيعة ، فمنهم من رماه بالفسق
لتعرضه للنساء الحواج مشبها بهن ، ومنهم من جعله بشعره
باباً للمعاصي حين يزين للشباب الرذيلة والخنا ، ومنهم
... الخ .

ونكتفي برأيين :

(١) قال ابن قتيبة : (كان عمر فاسقاً يتعرض للنساء
الحاج (٦٧) ويشبب بهن فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى
دهلك (٦٨) ثم غزا في البحر فأحرقت السفينة التي كان فيها
فأحترق هو ومن كان معه) (٦٩) .

(٦٦) ديوانه ص ١١ وأخباره في الأغاني ج ٨ : ص ١٩ وما بعدها .

(٦٧) وهذه جراءة منه على ضيفان بيت الله الحرام !

(٦٨) جزيرة في البحر .

(٦٩) الشعر والشعراء ص ٥٣٩ .

(ب) قال صاحب الأمالي : ذكر بحضرة ابن أبي عتيق
شعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ابن أبي عتيق : وما عصى الله
بشعر قط أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة (٧٠) .
وبعد :

فهذا ما هداني الله تعالى اليه ولعلي أكون قد وفقت
فيما اليه قصدت ، وحسبي أننى اجتهدت .
وبالله استعنت وعليه توكلت
وهو حسبنا ونعم الوكيل
وبالله التوفيق

• محمد حسن عبد اللطيف علي

* * *

((المصادر والمراجع))

القرآن الكريم

- ١ - أساس البلاغة للزمخشري ط : دار الكتب المصرية
سنة ١٩٣٥ م .
- ٢ - أسس النقد الأدبي عند العرب د / أحمد، أحمد بدوي
ط : نهضة مصر .
- ٣ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ط : دار الكتب
المصرية .
- ٤ - الأمالي لأبي علي القالي ط : المعرفة .
- ٥ - جمهرة أشعار العرب للقرشي ط : دار القلم دمشق
تحقيق الهاشمي .
- ٦ - خزانة الأدب للبغدادى ط : الخانجي .
- ٧ - ديوان جميل بئينة تحقيق بطرس البستاني ط : دار
بيروت للطباعة والنشر .
- ٨ - ديوان عمر بن أبي ربيعة ط : دار بيروت للطباعة
والنشر .
- ٩ - زهر الآداب وثمر الألباب للحصري ط : الرحمانية ،
والحلبى بتحقيق الجاوى .
- ١٠ - الشعر والشعراء لابن قتيبة ط : دار المعارف .
- ١١ - طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ط :
المعارف تحقيق محمود شاكر .

- ١٢- القاموس المحيط للفيروزابادي ط : بيروت •
- ١٣- لسان العرب لابن منظور ط : دار المعارف بمصر •
ط : بيروت •
- ١٤- الموشح للمرزباني ط : السلفية بمصر •
- ١٥- وفيات الأعيان لابن خلكان ط : دار صادر بيروت •
ط : بيروت •